ذكر الله تعالى من أعظم الطاعات

بالذكر في السر والعلن معاً، جرت سيرة الأنبياء والخلفاء والعلماء والصلحاء

إعداد :محمد عبد الله

« كاشف الغطاء عن المكنونات، وحلال العقد عن المعضلات » الفقيه الجليل الشيخ جعفر النجفي « ١٢٢٨ هـ»الذي اشتهر باسم كتابه الفقهي النوعي « كشف الغطاء » فعرف بـ« كاشف الغطاء » وإليه ترجع الأسرة العلمية الكريمة «آل كاشف الغطاء » .

والنص التالي من كتاب «كشف الغطاء» ج٢/ ٤٠٣ وهو نموذج يكشف عن موقع ذكر الله تعالى من تراتبية الشعائرفي المجاميع الفقهية الأم.

كتاب الذكر وفيه مقامات :

الأول: في أن ذكره تبارك وتعالى من أعظم الطاعات، وشهد بذلك الكتاب في كثير من الآيات، والأخبار المتواترات، والسير القاطعات من ايام أبينا آدم إلى هذه الأوقات، وهو معدودٌ من أعظم القربات، والعقل به شاهد، مستغنٍ عن أن يكون له من النقل معاضد، ولا يُقتصر منه على الذكر الخفي، وإن كان رجحانه غير خفي، فإن الإعلان باللسان، أبلغ في إظهار العبودية مما لم يطلع عليه إنسان، ولكلّ منهما جهة رجحان، وبهما معاً جرت سيرة الأنبياء والخلفاء والعلماء والصلحاء كما لا يخفى على غبي، فضلا عن ذكي.

الثاني: في أن ذكره راجح على كل حال فقد قال تعالى لموسى عليه السلام: أنا جليس من ذكرني.
وقال موسى عليه السلام: تأتي عليَّ مجالس أُعِزُّكَ وأُجِلُّكَ أن أذكرك فيها، فأوحى الله تعالى إليه: إن ذكري حسن على كل حال.
وقال تعالى له: ولا تدع ذكري على كل حال، فإن ترك ذكري يقسي القلوب.
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وإن ترك ذكري يقسي القلوب.

الثالث: في أنه ينبغي ذكره تعالى في كل مجلس، فعن النبي صلى الله عليه وآله: ما من مجلس يجتمع فيه أبرار وفجار، فيقومون على غير ذكر الله إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة. وفي غيره إضافة ذكر النبي وآله صلوات الله عليه وعليهم إلى ذكره.

وفي غيره إضافة ذكر النبي وآله صلوات الله عليه وعليهم إلى ذكره: أي وفي غير هذا الحديث إضافة ذكر النبي وآله صلى الله عليه وعليهم، إلى ذكر الله تعالى، وهو رحمه الله يشير إلى مثل ماروي عن الإمام الصادق عليه السلام: ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عز وجل، ولم يذكرونا، إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة. ثم قال عليه السلام: قال أبو جعفر: إن ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان. الكليني، الكافي٢/ ٦٩٤. والحر العاملي، وسائل الشيعة٧/ ٣٥١ وقد ورد الحديث في المصدرين بعد الحديث الوارد في المتن.

الرابع: يستحب كثرة الذكر، ليحبه الله تعالى، ويكتب له براءة من النار، وبراءة من النفاق، و ليذكره الله.
وقال تعالى لموسى عليه السلام: إجعل لسانك من وراء قلبك تسلم، وأكثر ذكري بالليل والنهار تغنم.

الخامس: الذكر في الخلوات، فقد قال تعالى لعيسى عليه السلام: ألِن

لي قلبك، واذكرني في الخلوات.

السادس: يستحب الذكر في ملإ الناس فقد قال تعالى لعيسى عليه السلام: اذكرني في ملأ، أذكرك في ملأ خير من ملإك، وفي البيت لتكثر بركته وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكثر ذكر الله عز وجل أحبه الله، ومن ذكر الله كثيرا كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق. الكليني، الكافي ٢ / ٥٠٠

قال تعالى: «فاذكروني أذكركم..» وعن الإمام الصادق عليه السلام: قال الله عز وجل: من ذكرني سرا ذكرته علانية. الكليني، الكافي ٢ / ٥٠١.

السابع: يستحب ذكر الله تعالى في كل واد ليملأ للذاكر حسنات.

الثامن: يستحب لدفع الوسوسة.

التاسع: يستحب الذكر في الغافلين لأن الذاكر في الغافلين كالمقاتل عن الفارِّين.

العاشر: استحباب الذكر في النفس ورجحانه على العلانية من بعض الوجوه.

.الذكر إما أن يكون سراً أو علانية، والأول: في العزلة عن الناس، أوفي النفس، وقد ورد الحث على كل من هذه الأقسام، ومن النصوص على الذكر في النفس قوله تعالى: «واذكر ربك في نفسك» وقد ورد في تفسيرها عن أحد الصادقين عليهما السلام: فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله عز وجل لعظمته. أنظر ذلك والروايات حول الذكر في السر في الكافي ٢ / ١٠٥-٢٠٥.

في كتاب وسائل الشيعة: «باب استحباب ذكر الله تعالى في كل واد» عن الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله: مامن عبد سلك وادياً فيبسط كفيه فيذكر الله ويدعو، إلا ملأ الله ذلك الوادي حسنات، فليعظمْ ذلك الوادي، أو ليصغُر.

الحادي عشر: يستحب ذكر الله تعالى في السوق ليكتب له ألف حسنة ويغفر له يوم القيامة مغفرة لا تخطر على بال بشر.

الثاني عشر: إن للذكر فضيلة خصوصية اللفظ، ومحلها اللفظ العربي، وتختلف مراتب فضيلته باختلاف فصاحته، وبلاغته، وفضيلة المعنى، ويحصل أجرها بذكر أسمائه تعالى بالفارسية، والرومية، والعربية، وقد يقال بتفاوت الأجر بتفاوتها، وتقديم بعضها على بعض على نحو ما سبق في ترجمة القراءة.

أللهم إني لا أجد سبيلاً إليك سواهم

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأشهد أنك رسول الله، وأنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلّغت رسالات ربك، ونصحت لأمّتك، وجاهدت في الله حق جهاده، داعياً إلى طاعته، زاجراً عن معصيته، وأنك لم تزل بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين غليظاً، حتى أتاك اليقين، فبلغ الله بك أشرف محل المكرمين.

ألحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة. أللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل السماوات والأرضين، ممن سبّح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين، على محمد عبدك ورسولك ونبيك، وأمينك ونجيبك، وحبيبك وخاصتك وصفوتك، وخِيَرَتك من خلقك.

أللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، أللهم امنحه أشرف مرتبة، وارفعه إلى أسنى درجة ومنزلة، وأعطه الوسيلة والرتبة العالية الجليلة، كما بلّغ ناصحاً، وجاهد في سبيلك، وصبر على الأذى في جنبك، وأوضح دينك، وأقام حججك، وهدى إلى طاعتك، وأرشد إلى مرضاتك.

أللهم صل عليه وعلى الأئمة الأبرار من ذريته، والأخيار من عترته، وسلم عليهم أجمعين تسليما.

أللهم إني لا أجد سبيلاً إليك سواهم، ولا أرى شفيعاً مقبول الشفاعة عندك غيرهم، بهم أتقرب إلى رحمتك، وبولايتهم أرجو جنتك، وبالبراءة من أعدائهم أؤمل الخلاص من عذابك. أللهم فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين».

من زيارة رسول الله